الأسلوبية ومفهومها : أثر الجاحظ في تطور مسارها النقدي

Aestheticism and its Concept: Impact of AlJahiz on the Development of its Literary Path

أ. **رضوان اركيزة:** طالب باحث في سلك الدكتوراه، مختبر علوم اللغة والخطاب والدراسات الثقافية، جامعة شعيب الدكالي – الجديدة 24000 – المغرب.

Mr. Radouane RKIZA: PhD student, Department of Language sciences, discourse, and cultural studies, Chouaïb Doukkali University, El Jadida 24000, Morocco.

Email: rkiza.r@ucd.ac.ma

DOI: https://doi.org/10.56989/benkj.v3i9.608

الملخص:

لم تقف الدراسات النقدية في سبيل تقصيها لتشكل مفهوم الأسلوبية عند إسهامات الجاحظ الأدبية بالشكل الكافي، بل وتكاد تُجهل معظم بصماته التنظيرية في مسار تطوير آلياتها، ولذلك تأتي هذه المقالة بهدف إبراز حجم المساهمة النقدية المقدَمة من الجاحظ في هذا الصدد، والعوامل الي أدت إلى استبعاد دوره فيها، مستعينين بالمنهج الاستقرائي في رصد منحى تشكل النقد الأسلوبي بوادره عنده، فكان من أهم النتائج المنتهى إليها عبر ذلك؛ أن الطرح النقدي للأسلوبية عند الجاحظ على الرغم من اعتباره الانطلاقة الفعلية لنشأته، فإن بوادر تشكله الأولى لم يكن له السبق فيها. أما أمر استبعاد اسهاماته النقدية في هذا الشأن، فمرده إلى تبنيه لأنماط كتاباته الشذرية لدى تناوله للطرح.

الكلمات المفاتيح: الأسلوب – الأسلوبية – النظم– الجاحظ.

Abstract:

The critical studies did not stand in the way of exploring and forming the concept of stylistics through the literary contributions of Al-Jahiz adequately. Most of his theoretical influences in the development of its mechanisms are almost ignored, and his theoretical imprints on its trajectory are almost unrecognized. Hence, this article aims to highlight the extent of the critical contribution presented by Al-Jahiz in this regard and the factors that led to the exclusion of his role in it. We use the inductive method to trace the emergence of stylistic criticism's beginnings in him. One of the most significant results reached through this is that despite being considered the actual starting point for its emergence, Al-Jahiz's critical approach to stylistics did not have precise in its initial formations. As for the exclusion of his critical contributions in this matter is attributed to his adoption of scattered writing patterns when addressing the topic.

Keywords: style – stylistics – systems – AlJahiz.

المقدمة:

لم يكن للنقد الأسلوبي قبل الإسلام أي أثر يذكر سواء في مصطلحه هذا أو عبر المصطلحات الرديفة أو البديلة؛ كالسبك أو المذهب، على الرغم من أن المشهد الشعري في العصر الجاهلي شهد دروة التميز البياني والبلاغي، إلا أن عجلة النقد به ظلت قاصرة عن مسايرة الركب الأسلوبي والجمالي لذلك المشهد، ولم تتناول بشكل معمق وتفصيلي البناء الأسلوبي للقصيدة، واكتفت بأحكام تراوحت بين المقتضبة والانطباعية،

وانطلاقا من القرن الثاني للهجرة، اهتم النقد العربي القديم بقضية "الأسلوب" عبر مجموعة من الرواد ومن خلال حوامل لغوية مختلفة، ويمكن النظر إلى هذه القضية من زاويتين متباينتين، الأولى تمثلها فئة من النقاد منقسمة بدورها إلى قسمين، القسم الأول منها، يمكنه أن يضم عبد القاهر الجرجاني، وحازم القرطاجني، وابن رشيق القيرواني، وابن قتيبة، والباقلاني، وابن خلدون؛ وهؤلاء عمدوا إلى استخدام لفظة "الأسلوب" بعينها، فيما عمل القسم الثاني منهم على استخدام اللفظة بدوال متفاوتة أدت المدلول نفسه، ونذكر منهم على سبيل المثال؛ ابن طباطبا وأبو هلال العسكري.

أما الزاوية الثانية، فهي ذات ترتيب كرونولوجي مر بمراحل ثلاث؛

يبدأ بمرحلة المخاض مع الجاحظ، وينضج مع كل ابن منظور والقرطاجني، لكن نشأته حسب الهادي الجطلاوي[1] تُنسب في اعتقاده لعبد القاهر الجرجاني، ومن هذا المعتقد النقدي الذي يكاد يتساوى في تبنيه العديد من النقاد، تم طمس حجم المساهمة النقدية للجاحظ في هذا النطاق. وعلية فإن الإشكال الذي يحاول هذا المقال طرحه، هو كالتالي:

إشكالية الدراسة:

تحاول الدراسة الإجابة عن التساؤلات التالية:

- كيف أمكن لهذا العلم الذي رُوِّج له مع الجرجاني أن يتجاوز في مساره المساهمات النقدية للجاحظ وما قبله من النقاد؟
- ما هي أسس هذا العلم؟ وإلى أي حد يمكننا رصد بداياته الأولى؟
- وهل حقا كانت عملية مخاض هذا العلم مع الجاحظ؟

[1] عمل الهادي الجطلاوي على التمثيل لكل مرحلة من المراحل المذكورة من خلال أعمال ورادها، إذ جعل من "البيان والتبيين" عنوانا لمرحلة المخاض، ودلل على مرحلة النشأة ب"دلائل الإعجاز"، أما مرحلة النضج، فقدم لها بكل من المؤلفات التالية: "منهاج البلغاء وسراج الأدباء" لحازم القرطاجني، و"لسان العرب" لابن منظور، و"المقدمة" لابن خلدون.

– ما هي الدوافع الكامنة وراء تقليص حجم المساهمة النقدية للجاحظ في هذا المجال؟

منهج الدراسة:

تتخذ هذه الدراسة بداية من آليتي الاستقراء والوصف منهجا في قراءتها للنصوص النقدية القديمة، ثم تعمل بعد ذلك على تحليلها واستخراج الاستنتاجات عبر ألية الاستنباط.

أهداف الدراسة:

تتمثل الأهداف الرئيسية لهذه الدراسة؛

– في نقدها للمسلمات النقدية الكبرى التي رافقت نشأة الأسلوبية العربية.

– إبراز دور الجاحظ النقدي في تكوين مفهومها.

– تقصى الدوافع الكامنة وراء تقليص حجم المساهمة النقدية للجاحظ في هذا المجال.

أهمية الدراسة:

تستمد هذه الدراسة أهميتها النقدية من محاولاتها الفريدة في تناول موضوع الأسلوبية العربية القديمة من زاوية أخرى مختلفة عما كان يروج له، تُسهم في اثراء المنظور النقدي لهذه القضية.

المبحث الأول: الأسلوبية والنظم وبوادرها عند الجاحظ.

1) النظم والأسلوبية:

الأسلوب، هو النّهج اللغوي الذي يشتقُّه الشاعر لنفسه في خضم المادة اللغوية، والمعرفية، المتراكمة لديه، وفق أغراض معينة، وهو يعني أيضا؛ نظاما أو نسقا معينا، وهذا قد يكون عامًا فيُقصد به المسلك، وقد تكون له خصيصة اصطلاحية فيُقصد به كسر التركيبة اللغوية وخرقها، وهو إضافة إلى ذلك كله، وسيلة فنية تهدف إلى استمالة المتلقي وإقناعه بفحوى ما أو بطرح فكري معين. والأسلوبية هي علم الأسلوب.

ويذهب العديد من النقاد المحدثين إلى أن مفهوم الأسلوبية أو علم الأسلوب يتناسب ومفهوم النظم، ومن بين النقاد الذين تناولوا هذا الطرح؛ حمادي صمود وكمال أبو ديب وسامي خشبة، وجابر عصفور، وسعد مصلوح، والهادي الطرابلسي وعبد السلام المسدي.

ولا يتمثل هدفنا بهذه الورقة في تبيان مدى مطابقة المفهومين – الأسلوبية والنظم– بل تهدف هذه الورقة البحثية إلى تبيان مساهمة الجاحظ المهمة في التأسيس لهذا المفهوم الذي أثيرت حوله مجموعة من التساؤلات عن البدايات الحقيقة لتشكل بوادر فكرة النظم. فبين من ينسب فضل بروزها

لعبد القاهر الجرجاني وبين من يعود بها إلى الرعيل الأول من النحاة؛ هناك مجموعة من النقاد الذين كان لهم الفضل الأكبر في بروز هذا المفهوم ومنهم الجاحظ.

2) بوادر فكرة النظم:

لعل أقدم إشارة واصفة لفكرة النظم يمكن أن نقتفيها، هي ما جاءت على لسان ابن المقفع بكتاب الأدب الصغير، إذ يقول: "وجل الأدب بالمنطق، وجل المنطق بالتعلم ... فإذا خرج الناس من أن يكون لهم عمل أصيل، وأن يقولوا قولا بديعا، فليعلم الواصفون المخبرون أن أحدهم – وإن أحسن وأبلغ – ليس زائدا على أن يكون صاحب فصوص وجد ياقوتا وزبرجدا ومرجانا، فَنَظَمه قلائد وسموطا وأكاليل ... فمن جري على لسانه كلام يستحسنه أو يُسْتَحْسَنُ منه، فلا يعجبن إعجاب المخترع المبتدع. فإنه إنما اجتناه كما وصفنا."[1]

وإشارة ابن المقفع تلك وإن كانت صغيرة ومبهمة، فهي ذات دلالات قيمية على أن نظم الكلام إنما هو خاضع لمنطق ما، وقد يقصد بالمنطق هنا المنطق الأرسطي. ولربما كان المقصود به منطق النحو، وهذا النحو من المنطق كما يقول ابن المقفع لا تدرك ناصيته إلا بالدربة، وقد يقصد بالتعلم إدراك العلاقات الناظمة للقواعد النحوية.

ويترتب عن هذه المقاصد، أن الوصف النحوي للغة هو وصف للعلاقة بين المعنى الداخلي والمعنى الخارجي للجمل، أي أن العلاقة التي تتناولها القواعد النحوية تستمد أساسها من جانبين أساسيين. الأول منهما؛ هو جانب لغوي يتحكم في ترتيب الكلمات بشكل محدد داخل وحدات صوتية معينة. أما الجانب الثاني؛ فهو جانب عقلي ينبع من السياق السابق، حيث يتم ترتبط هياكل البنية بمعانٍ معينة.

ففكرة النظم، هي فكرة سابقة للجاحظ، "وإن كانت دراساته موجزة متفرقة كما يقول أبو هلال، فهي على كل حال ذات أثر كبير في نشأة البيان... وعلى نهج الجاحظ سار المبرد في كتابه الكامل... وكذلك ابن المدبر في كتابه الرسالة العذراء، ثم ابن عبد ربه في العقد الفريد."[2]

---

[1] ابن المقفع، أبو مُحمّد عبد الله، (1911)، الأدب الصغير، تحقيق أحمد زكي باشا، ط1، جمعية العروة الوثقى. ص 6-7.

[2] خفاجي، محمد عبد المنعم، الأسلوب والبيان العربي، دط، القاهرة: دار المصرية اللبنانية. ص27.

3) بدايات النظم عند الجاحظ

لعل الجاحظ أيضا قد اهتم كثيرا بقضية النظم في كتابه،"نظم القرآن"، والذي لا نملك سوى إشارات إليه فقط من خلال كتابه الآخر "الحيوان"، إذ يقول: "عبت كتابي في خلق القرآن، كما عبت كتابي في الرد على المشبِّهة وعبت كتابي في القول في أصول الأحكام، كما عبت كتابي في الاحتجاج لنظم القرآن وغريب تأليف وبديع تركيبة. وعبت معارضتي للزيدية وتفضيلي الاعتزال على كل نِحْلة"[1].

ومن الإشارات التي تشي بدوافع اهتمام الجاحظ بالنظم، قوله أيضا في كتابه "الحيوان" الذي يشر فيه إلى نظم القرآن بقوله: " في كتابه المنزل الذي يدلنا على أنه صدق، نظمه البديع الذي لا يقدر على مثله العباد"[2]. لكن؛ كيف برزت فكرة النظم عند الجاحظ؟

يرى أحمد درويش في كتابه "دراسة الأسلوب بين المعاصرة والتراث"، بأن فكرة النظم، برزت عند الجاحظ "بمعنى النسق الخاص في التعبير والطريقة المتميزة في التركيب،"[3] وقد ظهرت "كتفسير لسر الإعجاز القرآني"[4]خلال معرض حديثه عن الفرق: "بين نظم القرآن وتأليفه ونظم سائر الكلام وتأليفه."[5] إذ يقول: "فإذا عرف صُنوف التأليف عرف مباينة نظم القرآن لسائر الكلام."[6]

وفي إشارة الجاحظ هنا، دعوة لاستقراء أوجه الاختلاف بين ما يزخر به القرآن الكريم من غريب الأساليب التي لم تعهدها العرب وبين سائر الكلام الذي قد يعني به الشعر. والدعوة هنا في حد ذاتها تتقاطع أيضا ومبادئ علم الأسلوب من حيث دراسته اللإبدالات اللغوية وعلاقاتها البنيوية.

وفي هذا الشأن، يضيف محمد عبد المنعم خفاجي، من أن مسألة إعجاز القرآن كان لدراستها دور واضح نشأة نظرية علم الأسلوب أو النظم، وأن علم الأسلوب أعلى درجات البلاغة، بل ويرى إضافة إلى ذلك، أن من بين أوجه الإعجاز القرآني هو ما تضمنه القرآن الكريم من غرابة النظم الذي خالف ما نظمته العرب.

كل هذا والجاحظ لم يقدم شرحا دقيقا للنظم،"وإنما يُفهم هذا المصطلح عنده في إطار مذهبه الأدبي الذي يهتم بالصياغة والألفاظ، ويجعل لهما المحل الأول، ويناقش طريقة الاختيار المثلى

---

[1] الجاحظ، أبو عثمان عمرو بن بحر،(1965)، كتاب الحيوان، تحقيق عبد السلام محمد هارون، ج1، ط2، مصر: مطبعة مصطفى البابي. ص 9.

[2] درويش، أحمد، (1998)، دراسة الأسلوب بين المعاصرة والتراث، دط، القاهرة: دار غريب. ص90.

[3] المصدر السابق، ص90.

[4] نفسه. ص90.

[5] الجاحظ، أبو عثمان عمرو بن بحر،(1991)، العثمانية، ط1، القاهرة: دار الجيل. ص16.

[6] نفسه. ص16.

لبعض الألفاظ على بعضها الآخر، وكيف أن المعجم القرآني بلغ في ذلك درجة دقيقة في التفريق بين الألفاظ."[1]

وفي هذا الضرب من الاختيار عند الجاحظ، تجدر فيه "الإشارة هنا إلى أن النظر إلى الأسلوب بما هو اختيار، يتوافق تماما وما جاءت به اللسانيات الحديثة من تميز بين اللغة والكلام، إذ يكون الأسلوب حينئذ مظهرا من مظاهر الكلام من دون أن تنفك صلته باللغة التي امتاح من إمكانياتها،"[2] بل إن "الأسلوب هو الطريقة التي تتماسك بها أدق دقائق اللغة، وما عليه ينبني تفضيل لفظ على آخر أو عبارة على أخرى."[3]

وإن كان الجاحظ لم يميز في طرحه للنظم بين اللغة والكلام، فإن عبد القاهر الجرجاني في مستهل تناوله لفلسفة الأسلوب، قام بالتفريق بين اللغة والكلام، فالكلام "في نظره تعليق الألفاظ بعضها ببعض عن طريق العلاقات النحوية،"[4] وما يميزه، هو خصيصة تركيبية تتشكل على هيئة "عنصر فردي يجعله يختلف عن كلام إنسان آخر،"[5] وهذا عكس ما تحفل به اللغة، فهي "شيء يشترك فيه العام والخاص."[6]

ولا ينكر عبد القاهر في المقابل، فضل من سبقه من "العلماء على تعظيم شأن النظم وتفخيم قدره، والتنوير بذكره وإجماعهم أن لا فضل مع عدمه، ولا قدر لكلام إذ هو لم يستقم له ... وأنه القطب الذي عليه المدار، والعمود الذي به الاستقلال،"[7] ذلك "لأن الكلام من منظورهم لا تستقيم صحته إلا إذا وافقت صحته مقتضى النحو، و"هذا هو السبيل"[8]، كما يقول الجرجاني: "فلست بواجد شيئا يرجع صوابه إن كان صوابا، وخطؤه إن كان خطأ، إلى النظم، ويدخل تحت هذا الاسم، إلا وهو معنى من معاني النحو قد أصيب به موضعه"[9].

---

[1] درويش، أحمد،(1998)، دراسة الأسلوب بين المعاصرة والتراث، دط، القاهرة: دار غريب. ص90.

[2] ويس، أحمد محمد،(2005)، الانزياح من منظور الدراسات الأسلوبية، ط1، بيروت: مجد. ص71.

[3] لرتوما، بيار،(2011)، مبادئ الأسلوبيات العامة، ت.محمد المنظمة العربية للترجمة. ط1، بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية. ص.359.

[4] خليل، إبراهيم، (1997)، الأسلوبية ونظرية النص، ط1، بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر. ص 35.

[5] نفسه. ص 35.

[6] نفسه. ص 35.

[7] الجرجاني، عبد القاهر، دلائل الإعجاز، قراءة وتعليق: أبو فهد محمود محمد شاكر، دط، القاهرة: مكتبة الخانجي. ص 80.

[8] نفسه. ص 82.

[9] نفسه. ص 80.

المبحث الثاني: نقد أسلوبية الجاحظ

1) أسلوبية الجاحظ من منظور ميشال عاصي:

"جال الجاحظ في قضايا الأسلوبية العامة للأدب والشعر جولات خاطفة، كان فيها أشبه شيء بالفراشة المولعة بالتحويم والملامسة أكثر منها بالإقامة والتوغل،"[1] ومرد هذا الوصف إلى تأثر الجاحظ بأشكال الكتابة القرآنية، وهو ما جعل عددا من النقاد يجد مشقة في رسم حدود للمواضيع النقدية التي تطرق إليها.

وعلى الرغم من ذلك، فإن تلك الشذرات أو الجولات التي يصفها "ميشال عاصي" بالخاطفة، قدمت لنا ولغيرنا إضاءات مهمة، وإشارات قيمة حول مفهوم الأسلوب، يمكن اعتبارها اللبنات الأولى في هذا المجال.

يرى ميشال عاصي، أن مفهوم الأسلوب لدى الجاحظ يُعد من أحد الصناعات الثلاث المكونة لتقنية النظم إلى جانب "مدار الصناعة البيانية، ومدار الصناعة العروضية"[2]، ويرى أيضا، أن "أهم المسائل التي عني بها الجاحظ في هذا المجال هي مسألة التناغم الايقاعي في الشعر. وقد عالجها من عدة زوايا"[3]، وهي:

- الائتلاف؛ "ويعني به التجاوز المتجانس بين حروف اللفظة، وأجزاء الكلام"[4].
- السبك؛ و"هو الصياغة. ومرادفه النحت. والمقصود به الدلالة على تحقيق جودة الانسجام في إيقاع الحروف والألفاظ فيما بينها من جهة، وفيما بين أجزاء الوزن، أي التفاعيل من جهة ثانية ... وآية السبك وجودته سلاسة السياق اللفظي وخفته على اللسان وعذوبته في الأذن."[5]
- تلاحم الأجزاء؛ ويقصد به "تآلف أجزاء الوزن فيما بينها فقط."[6]
- القران والاقتران: ويحصل "في مجال الانسجام اللفظي والتآلف الموسيقي فيما بين الحروف والكلمات."[7]

---

[1] عاصي، ميشال، (1974)، مفاهيم الجمالية والنقد في أدب الجاحظ، ط1، بيروت: دار العلم للملايين. ص138.
[2] نفسه. ص138.
[3] نفسه. ص138.
[4] نفسه. ص138.
[5] نفسه. ص139.
[6] نفسه. ص139.
[7] نفسه. ص 140.

- الطلاوة: وتستعمل "للدلالة على تلاحم أجزاء الوزن، وعلى الجمالية الايقاعية المنبثقة عن تساوق التفاعيل وانسجامها الموسيقي. وكمرادف لهذا المصطلح يستعمل الجاحظ أحيانا الحلاوة، والعذوبة، والسهولة."[1]
- الاستهلال والختام: ويقصد به "بداية القصائد وختامها. وذلك ما أسموه جودة الابتداء والقطع."[2]
- ميسم الشعر: ويعني به " الأثر العميق الذي يتركه الشعر في النفوس."[3]
- قصائد التصنيع: وهي " القصائد التي يخضعها الشعراء لعملية طويلة من التهذيب وقسوة الصناعة والصقل، فقد عدد الجاحظ لها أسماء ونعوتا كثيرة أبرزها: المقلَّدات، والمنقَّحات، والمحككات، والمحكمات، والحوليات ..."[4]
- التخلص: وهو التحول عن غرض إلى آخر في القصيدة نفسها.
- مخارج الأشعار: "يطالعنا هذا المصطلح في باب الصناعة الأسلوبية عند الجاحظ بمعنى لا يفصح عنه صاحبه، لكننا نستخلصه بالمقايسة والاستنتاج، وهو أن مخارج الأشعار، كمخارج الروايات، ومخارج الأسجاع، ومخارج الملل، إنما هي القواعد والأصول التي تقوم عليها هذه النشاطات والفنون، وهي الخصائص الصناعية التي تتميز بها عن كل ما عداها."[5]
- التوليد: "يستعمل الجاحظ فِعل «ولد» بمعنى «ألَّف»، لا على أساس الابتداع والخلق كما هو مدلولها المتداول بيننا اليوم، بل بمعنى تقليد الآثار استنادا إلى نماذج سابقة معروفة ونسبتها إلى الكتاب المشهورين الذين تؤثر عنهم تلك النماذج."[6]
- رواية الشعر: وتحدد مقاصدها "غايات ثلاث: لغوية وهي شأن النحويين، أدبية وتاريخية وهي غاية متتبعي الأخبار والأمثال، وأسلوبية وهي هدف رواة الأشعار بالمعنى البلاغي والجمالي العام لهذا المصطلح."[7]

2) الضوابط الأسلوبية عند الجاحظ

---

[1] نفسه. ص 141-142.
[2] نفسه. ص 143.
[3] نفسه. ص 144.
[4] نفسه. ص 145.
[5] نفسه. ص 148-149.
[6] نفسه. ص 149.
[7] نفسه. ص 151.

الحقيقة، أن الجاحظ لم يهتم بالأساليب الإيقاعية في الشعر دون غيرها حسب ما ذهب إليه ميشال عاصي في شرحه، وإنما اهتم إضافة إلى ذلك بالجوانب الأخرى لفظا ومعنى، وهو ما لمسناه من خلال دفتي "البيان والتبيين".

ففي "البيان والتبيين"، تناول صاحبه ماهية الأسلوب الشعري عبر إقامة مقارنته بين شعر مجموعة من الشعراء، ومن بينهم على سبيل المثال؛ "ابن ربيعة بن مفرغ" و"أسود بن أبي كريمة"،فمن حيث اللفظ؛ فإنه ينفي عنه في اختياره العامية ويُبعد عنه السوقية في تداوله، غير أنه في مقابل ذلك، لا يدفع به نحو الغرابة والوحشية التي لن ينال من دلالة نظمها، إلا وحشي الكلام من الناس.

هذا، ويقيم الجاحظ مفاضلة أسلوبية ثانية بين أسلوبين لغويين متباينين انطلاقا من تباين مصادر نشأتها، فكلام "الناس في طبقات، كما أن الناس في طبقات. فمن الكلام الجَزلُ والسخيف، والمليح والحسن، والقبيح والسمج، والخفيف والثقيل؛ وكله عربي، وبكل قد تكلموا، وبكل قد تمادحوا وتعايبوا."[1]

وبشكل أبعد ما يكون عن الانطباعية على ما يبدو، يحدد الجاحظ ماهية الأسلوب المطلوب من خلال طرحه لفصاحة الكلام وبلاغته كمعيار له، ويؤكد على كل ذلك بإقراره التالي: "أنا أقول: إنه ليس في الأرض كلام هو أمتع ولا آنَق، ولا ألذ في الأسماع، ولا أشد اتصالا بالعقول السليمة، ولا أفتق للسان، ولا أجود تقويما للبيان، من طول استماع حديث الأعراب العقلاء الفصحاء، والعلماء البلغاء"[2].

والجاحظ في معرض مقارناته الشعرية تلك، يرسم حدود بعض الضوابط الأسلوبية التي تميز اللغة الأدبية عن غيرها، فينفي عنها السوقية والغرابة التي تميز نظيرتها العامية، لكن؛ أليست اللغة الأدبية لغة تدخل في تشكيل تعابيرها أحيانا غرابة اللفظ وسوقية المعنى؟

يجيبنا الجاحظ ضمنيا عن ذلك، بأن المعاني البسيطة المولَدة من سخيف الألفاظ حسب تعبيره، قد تنال أحيانا في بعض الأغراض الشعرية من الإمتاع ما لا تناله نظيرتها المولدة من جزيل اللفظ.

ومن علله تلك، يترك الجاحظ هامش "الاختيار" إلى سخيف الألفاظ الذي هو أحد مكونات الأسلوب، بل ويعمد إلى المكون نفسه ضمنيا في وصف مجموعة من الأحكام التراتبية التي يمكن أن تميز الأداء الأسلوبي للشعراء فيما بينهم، ويجعلها واصفة لمعايير المفاضلة، انطلاقا من جزئيات المعاني إلى كلياتها، ومن مغزى العبارات إلى متونها.

---

[1] نفسه. ص144.

[2] نفسه. ص145.

إن الجاحظ يوظف مفهوم "النظم، بمعنى حسن اختيار اللفظة المفردة اختيارا موسيقيا يقوم على سلامة جرسها، اختيارا معجميا يقوم على ألفتها، واختيارا إيحائيا يقوم على الظلال التي يمكن أن يتركها استعمال الكلمة في النفس، وكذلك حسن التناسق بين الكلمات المتجاورة تآلفا وتناسبا."[1]

الخاتمة:

إن نظم الشعر من منظور الجاحظ هو نسيج من الصور البيانية، وإن الكشف عن أساليب "البلاغة والنقد في أدب الجاحظ هو، إلى حد بعيد، كشف عن مفاهيم الجمالية عند هذا الأديب الموسوعي، أو بالأقل عن مفاهيم فكره الأدبي، باعتبار أن صاحبه لم يكن غرضه الدراسة الجمالية، ولم يقصد إلى الدراسة البلاغية المستقلة بمقدار ما كان يسعى إلى غرض إبداعي بالدرجة الأولى،"[2] يكشف به براعة الأساليب الموظفة به وانعكاساتها الفنية.

ولذلك يمكن القول؛

1. إن مساهمة الجاحظ في تطوير فكرة النظم يمكن وصفها بالبداية الفعلية لتأسيس هذه الفكرة، وعليه فإن الجاحظ يمثل بطرحه كل من مرحلتي المخاض والنشأة.
2. إن مصطلح النظم عند الجاحظ يختزل لديه من حيث سمة الاختيار عدة وظائف؛ وهي:
   - سلامة اختيار اللفظة موسيقيا وألفتها معجميا.
   - أثر إيحاءاتها المختارة على النفوس، تناسقها وتناسبها وتآلفها فيما يحيط بها.
3. تأثر الجاحظ بنمط الكتابة القرآني الشذري جعل بعض النقاد يجد عنتا في فهم طرحه المتناثر للفكرة.

قائمة المصادر والمراجع:

- ابن المقفع، أبو مُحمّد عبد الله، (1911)، الأدب الصغير، تحقيق أحمد زكي باشا، ط1، جمعية العروة الوثقى.
- الجاحظ، أبو عثمان عمرو بن بحر، (1965)، كتاب الحيوان، تحقيق عبد السلام محمد هارون، ج1، ط2، مصر: مطبعة مصطفى البابي.
- الجاحظ، أبو عثمان عمرو بن بحر، (1991)، العثمانية، ط1، القاهرة: دار الجيل.

[1] درويش، أحمد،(1998)، دراسة الأسلوب بين المعاصرة والتراث، دط، القاهرة: دار غريب. ص91.

[2] عاصي، ميشال، (1974)، مفاهيم الجمالية والنقد في أدب الجاحظ، ط1، بيروت: دار العلم للملايين. ص 20.

- الجرجاني، عبد القاهر، دلائل الإعجاز، قراءة وتعليق: أبو فهد محمود محمد شاكر، دط، القاهرة: مكتبة الخانجي.
- الجطلاوي، الهادي، (1992)، مدخل إلى الأسلوبية تنظيرا وتطبيقا، ط1، الدار البيضاء: النجاح الجديدة
- خليل، إبراهيم، (1997)، الأسلوبية ونظرية النص، ط1، بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر.
- درويش، أحمد، (1998)، دراسة الأسلوب بين المعاصرة والتراث، دط، القاهرة: دار غريب.
- درويش، أحمد، (1998)، دراسة الأسلوب بين المعاصرة والتراث، دط، القاهرة: دار غريب.
- عاصي، ميشال، (1974)، مفاهيم الجمالية والنقد في أدب الجاحظ، ط1، بيروت: دار العلم للملايين.
- عبد المنعم خفاجي، محمد، الأسلوب والبيان العربي، دط، القاهرة: دار المصرية اللبنانية.
- القيرواني، أبو علي الحسن بن رشيق، (1955)، العمدة في محاسن الشعر وآدابه، ونقده، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد، ط2، مصر: مطبعة السعادة.
- لرتوما، بيار، (2011)، مبادئ الأسلوبيات العامة، ت.محمد المنظمة العربية للترجمة. ط1، بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية.
- ويس، أحمد محمد، (2005)، الانزياح من منظور الدراسات الأسلوبية، ط1، بيروت: مجد.

الرومنة Romanization:

Ibn al-Muqaffa, Abu Muhammad Abdullah, (1911), Al-Adab Al-Saghir, edited by Ahmed Zaki Pasha, 1st edition, Al-Urwa Al-Wuthqa Society (in Arabic).

Al-Jahiz, Abu Othman Amr bin Bahr, (1965), Book of Animals, edited by Abd al-Salam Muhammad Harun, Part 1, Edition 2, Egypt: Mustafa al-Babi Press (in Arabic).

Al-Jahiz, Abu Othman Amr bin Bahr, (1991), Al-Uthmaniyah, 1st edition, Cairo: Dar Al-Jeel (in Arabic).

Al-Jurjani, Abd al-Qahir, Evidence of the Miracle, Reading and Commentary: Abu Fahd Mahmoud Muhammad Shaker, Dt., Cairo: Al-Khanji Library (in Arabic).

Al-Jalatlawi, Al-Hadi, (1992), An Introduction to Stylistics Theorizing and Application, 1st Edition, Casablanca: New Success (in Arabic).

Khalil, Ibrahim, (1997), Stylistics and Text Theory, 1st edition, Beirut: Arab Foundation for Studies and Publishing (in Arabic).

Darwish, Ahmed, (1998), Study of Style between Contemporary and Heritage, Cairo: Dar Gharib (in Arabic).

Darwish, Ahmed, (1998), Study of Style between Contemporary and Heritage, Cairo: Dar Gharib (in Arabic).

Assi, Michel, (1974), Concepts of Aestheticism and Criticism in the Literature of Al-Jahiz, 1st edition, Beirut: Dar Al-Ilm Lil-Malayin (in Arabic).

Abdel Moneim Khafaji, Muhammad, Arab Style and Statement, D., Cairo: Dar Al-Masria Al-Lubaniyya (in Arabic).

Al-Qayrawani, Abu Ali Al-Hasan bin Rashiq, (1955), Al-Umda fi Al-Mahasin Al-Poetry, Its Etiquette, and Its Criticism, edited by Muhammad Mohi Al-Din Abdul Hamid, 2nd edition, Egypt: Al-Saada Press (in Arabic).

Lartoma, Pierre, (2011), Principles of General Stylistics, T. Muhammad, Arab Organization for Translation. 1st edition, Beirut: Center for Arab Unity Studies (in Arabic).

Weiss, Ahmed Muhammad, (2005), Displacement from the Perspective of Stylistic Studies, 1st edition, Beirut: Majd (in Arabic).